العنوان:	إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء
المصدر:	مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية
الناشر:	جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	الصافى، محمد
المجلد/العدد:	ع36
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2019
الصفحات:	117 - 148
رقم MD:	996836
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الثقافة الإسلامية، التواصل الفكري، التواصل الثقافي، التجارة الصحراوية، علماء المغرب، أفريقيا جنوب الصحراء، العلاقات المغربية الإفريقية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/996836

إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء

د. محمد الصافـــي

أستاذ باحث في التاريخ المعاصر

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة كلميم واد نون – المملكة المغربية

ـ مقدمة:

لم تتأثر قضية التبادل الثقافي عبر الصحراء بما كان يجري من تحولات سياسية في السودان والمغرب عموما، فقد توارد على بلاد السودان عشرات العلماء من المغرب، واستقبلت جامعة القرويين العشرات أيضا ممن لمع اسمهم في تاريخ البلدين معا، وازدهرت تجارة الكتب وحفلت خزائن مدن السودان بكل ما كان معروفا من كتب في مختلف الفنون، لقد تجدد الوجه الثقافي للسودان بعد ظهور عوامل دافعة جديدة من بينها مجيء مدرسين وعلماء من المغرب، وانتقال الكتب والورق عن طريق التجارة، كما اعتنى أهل الصحراء بجمع نوادر الكتب في قراهم وواحاتهم مثلما فعل أهل سوس وأهل السودان، وقد شاهد المختار السوسي مخطوطا لمحمد الحضيكي صاحب الطبقات يتضمن معلومات عن خزائن السعديين في الجنوب المغربي، ونقل عنه القول بأن السعديين بعد أن تسلموا مقاليد المغرب والصحراء والسودان صرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من أقاصي السودان إلى أقاصي المشرق. ومن المكتبات المهمة بالصحراء المكتبة المسناوية بتيكورارين التي كانت تضم في العهد السعدي كتبا من السودان والعراق والحجاز واليمن ومصر والمغرب، ومكتبة الشيخ ماء العينين بالسمارة التي رأى المختار السوسي فيها مخطوطات صحراوية وشنقيطية وسوسية وسودانية وفاسية.

هذا ولعبت الطرق التجارية عدة أدوار مزدوجة، فهي طريق للتجار وطريق للمتعبدين (الحجاج) والعلماء، مما أسهم في ربط الصلات بين الشعوب الإسلامية، ومبادلة الإجازات بين العلماء، وتلاقح معطيات الفكر الإسلامي، الشيء الذي جعل من محطات طريق الحج محطات للزهد والعبادة والخلوة ومراكز للعلم والمعرفة، ونقاط للتزود والاستراحة والعلج، فقد كانت الطرق المؤسسة بفضل الحج تختلف أدوارها من اقتصادي إلى ما هو سياسي وديني وثقافي، فقد كانت تربط بين المجمعات الثقافية والمرور بالمراكز الدينية مثل الأزهر في القاهرة.

كما لعبت التجارة الصحراوية دورا مهما في تقوية العلاقات شمال جنوب التي تعود إلى فترة مبكرة من التاريخ، ونستطيع القول أن الإسلام كان أكبر عامل في هذه العلاقات المتنوعة بين شعوب المنطقتين، والذي كان له الدور الرئيسي في ازدهار الحياة الثقافية والحضارية في منطقة السودان الغربي خاصة خلال القرن 10هـ/16م، وهذا التفاعل بين الإقليمين كان من القوة، بحيث أفضى إلى

تسرب مقومات تنتهي من الإبداع المغربي على بنية الحضارة الإفريقية في ظل الإسلام، كما أن المغاربة قد أسعفتهم جملة من العوامل والمؤهلات لقيادة الفعل التجاري والثقافي في السودان الغربي واذكاء جدور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، لدرجة يذهب معها بعض الباحثين إلى أن تاريخ الإسلام في هذه الربوع لا يمكن فهمه إلا في ضوء تاريخ المغرب العربي وأحداثه، رغم أنها لم تكن السباقة إليها في نشر الإسلام، إلا أنه يرجع كل الدور إلى تلك الدول وإلى حركة التجارة التي ازدهرت في المنطقة.

في الموضوع الذي نحن بصدد دراسته ننطلق من إشكالية مركزية تتعلق بالبحث في أوجه مساهمة علماء من المغرب في تدعيم التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو الدور الذي لعبته المراكز المغربية في التواصل الفكري والثقافي مع جنوب الصحراء؟
- ما مدى مساهمة المغرب في إثراء الحياة الثقافية في تمبكتو؟
- ما هو الدور الذي جسدته الطرق والقوافل التجارية في نشر الثقافة الإسلامية والتبادل المعرفي والفكري؟
- كيف ساهم العلامة أحمد بلعراف التكني في تنشيط الحركة الثقافية بتمبكتو؟

- المراكز المغربية منطلق لتدعيم التواصل الفكري والثقافي مع إفريقيا جنوب الصحراء:

عرف المغرب في العصر الوسيط تأسيس عدة دول إسلامية وتشييد عدة مدن وحواضر ساهمت في ازدهار وتطور الحضارة الإسلامية، ومن هذه المدن مدينة فاس التي أسسها الأدارسة خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ومنذ تأسيسها إلى يومنا لا زالت مدينة فاس منارة شامخة في بلاد المغرب، فقد اتخذ الأدارسة من هذه المدينة عاصمة لمملكتهم، ورغم انتقال المرابطين ثم الموحدين الى مدن أخرى، فقد بقيت فاس مركزا علميا واقتصاديا ومقصدا لطلاب العلم وللقوافل التجارية من كل أنحاء المغرب، وقد تعدت شهرة مدينة فاس حدود المغرب حيث كانت لها علاقات متعددة مع عدة مدن ومراكز في المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، وحتى مع المدن والممالك الواقعة في الصحراء الكبرى أو جنوبها، ومن هذه المناطق السودان الغربي الذي كانت تربطه بالمغرب عدة طرق ومسالك كثيرا ما سلكتها القوافل التجارية والحملات العسكرية.

كما شكلت مدينة سجلماسة ما بين القرن 8 و15م ملتقى حضاري، إذ اعتبرت ثاني مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد القيروان، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي والمتميز بالجنوب الشرقي للمغرب، فاحتلت هذه المدينة عبر تاريخها موقع مهم في خريطة المغرب، فقد كان لسجلماسة دور متميز باعتبارها همزة وصل ما بين شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء كونها أول

محطة تجارية بالنسبة للقوافل القادمة من المدن الشمالية، لذلك كانت ضمن أكبر الأسواق التجارية في الغرب الاسلامي، ومع مدن المشرق وأوربا من جهة أخرى منذ فترة مبكرة من التاريخ، وبرز هذا الدور عند نشأتها على يد قبائل مكناسة، فكان تأسيسها سنة 140هـ/757م واعتبرت دولة بني مدرار أول دولة نشأت في المغرب الأقصى واتخذت مدينة سجلماسة عاصمة لها.

احتلت سجلماسة مكانة مرموقة في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما جعلها محل صراع تجاري بين الموحدين والمرابطين والمرينيين باعتبارها منطقة صحراوية على طرف السودان تتوسط الطرق التجارية الصحراوية المشهورة، فهي تقع على طريق تجاري مهم يعرف بطريق سجلماسة غانا الذي كان بمثابة مصدر لمعدن الذهب خلال العصر الوسيط (الطريق اللمتوني)، كان هذا الذهب يعود على سكانها بالثراء وكانت تتعامل به مع السودان الغربي، وبفضله كانت سجلماسة مركزا لدور صك الذهب فيها بالنسبة للدول المغربية.

1 ـ الطرق التجارية بين فاس والسودان الغربي:

لعبت الصلات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي دورا بارزا في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين ودعم الروابط بينهما، ويظهر هذا خاصة من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول، وتتبع هذه النقوش طريقا يبدأ من وادي درعه مرورا بأدرار أي موريتانيا الحالية، لينتهي عند نهر النيجر، كما نجد طريقا أخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حاليا إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو التي تعد أقدم حواضر السودان، ويلاحظ أنه على تلك المحاور ذاتها كان التجار المسلمون الأوائل يتوجهون لعرض تجارتهم في بلاد السودان، كما يلاحظ أنه بالقرب من نهاية تلك الطرق توجد مراكز فاس للتجارة والسودانية مثل أوداغوست، ولاته، غانة، تمبكتو، جاو، جنى، تاكدا مما أدى إلى ظهور اتصال بين المنطقتين هو التجارة وتبادل السلع عبر الصحراء.

أ ـ طريق فاس سجلماسة:

هو الطريق الذي ينطلق من فاس باتجاه سجلماسة كما وصفه أبو عبيد الله البكري، حيث ينطلق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صفروى الواقعة على الضفة الغربية لوادي سيو جنوب فاس ثم عبر موقع صغير يسمى المزي ثم إلى قرية تاسغمرت ثم إلى نهر سيو ثم إلى سجلماسة، أما إلى العودة من سجلماسة إلى فاس فيمر عبر طريق جبلي وعر من خلال جبل أرقود وجبل درن المشهور نحو فاس، ويقدر ابن حوقل طول هذا الطريق بـــ 13 يوما من السير[1]، أما الطريق الذي سلكه عبد الواحد المراكشي خلال رحلته إلى المغرب الأقصى يمتد من فاس نحو مراكش مجاورا الساحل الأطلسي عبر مدينة سلا، وعلى هذا الأساس يبدو أن مراكش كانت آخر محطة مهمة في هذا

الطريق خلال الفترة التي زرها المراكشي حوالي عام 621هـ، فيقول مراكش آخر المدن الكبرى بالمغرب المشهورة به وليس ورائها مدينة لها ذكر إلا بلديات صغيرة بالسوس الأقصى[2]، وهكذا يؤكد بأن طريق فاس سجلماسة يبقى أكثر حيوية وأهمية كبيرة.

ب ـ طريق سجلماسة غانة:

هو طريق يمر وسط الصحراء القاحلة، ويبلغ طول هذا الطريق خمسين يوما تسير فيه القوافل، لهذا كان التجار يفضلون سلوكه في فصل الشتاء، ويعد هذا الطريق الطويل الخالي من المدن باستثناء بعض المراكز التجارية المحدودة في بلاد السودان مثل أوداغوست التي يذهب إليها التجار في تلك الصحاري أو تغازة، فهذا الطريق كان يتفرع إلى فرعين الأول يتجه نحو غانة عبر أوداغوست أين تستغرق المسافة بين غانة وأوداغوست 10 أيام[3]، ويمر بولاته ومنها إلى غانة، أما الآخر فيتوجه نحو غانة عبر تغازة كما يصفه الإدريسي من خلال القرن 6هـ/12م أنه طريق خطير ومجهول الآثار وقليل السكان.

ج ـ طريق سجلماسة تمبكتو:

هو محطة تجارية مهمة، وهو الطريق الذي سلكه ابن بطوطة لدى سفره إلى مالي، ويمتد من سجلماسة إلى تغازة ومنها ولاته التي يعتبرها ابن بطوطة أول عمالة السودان، والمسافة من سجلماسة إلى ولاته شهرين ومن ولاته يتجه المسافرين إلى تمبكتو 14 يوما مارين بقرية زاغري ثم نهر السنغال ومنه إلى تمبكتو، وهذا الطريق لا يخلو من الصعوبة فيعتبره حسن الوزان أكثر وعورة من الأول، حيث يؤدي صعوبة المرور فيه إلى موت العديد من الناس وهذا لفقدان الماء[4].

2 ـ سجلماسة همزة وصل بين المدن الجنوبية:

اعتبرت مدينة سجلماسة وبلاد السودان من أهم الروابط خلال العصر الوسيط، وإلى جانب هذا فكان يفصل بين بلاد السودان وبلاد المغرب سلاسل جبلية تتخللها المجابات[5]، ويوضح الإدريسي في هذا السياق أن القوافل التجارية قبل رحيلها إلى بلاد السودان كانت تتزود بالماء لسلوك هذه المجابات[6].

عرفت تجارة سجلماسة مع بلاد السودان بعض الصعوبات إلا أنها لم تشكل عائق في استكمال ممارسة النشاط التجاري، وهذا ما يوضحه ابن حوقل في قوله: "بين المغرب وبلاد السودان من مفاوز وبراري متقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك إلا في الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائم الوارد والصادر"[7].

كما شهدت مدينة سجلماسة حركة تجارية من خلال ازدهار نشاطها التجاري، فعرفت أيضا هجرة الناس إليها من بلاد السودان من أجل التجارة، بالإضافة إلى وقوع مركزها التجاري من مفترق

الطرق التجارية، وتمثلت علاقاتها التجارية مع بلاد السودان في ازدهار ورقي نشاطها الاقتصادي كونها أهم محطة تجارية، فلم تكن مجرد محطة لاستراحة القوافل وبقاء التجار قبل رحيلهم بل كانت مركزا رئيسيا في توفير سلع المبادلات والوسائل الضرورية في مواصلة العمل التجاري[8]. ومن بين العلاقات السائدة في المجال التجاري بين بلاد المغرب بصفة عامة وسجلماسة بصفة خاصة مع بلاد السودان ما يسمى "بالتجارة الصامتة"[9] التي تتم بين تجار المغرب وتجار السودان، والتي تقوم على أساس مبدأ المقايضة بين الذهب وسلع أخرى مثل الملح، وعرفت أيضا بضرب الطبول عند بداية العملية وعند انتهاءها، وتوجد هذه التجارة في بلاد التبر بينها وبين سجلماسة مسافة ثلاثة أشهر يمشي إليها التجار بتعب شديد لشدة الحر فيها[10].

لقد لعبت سجلماسة دور الميناء الصحراوي للقوافل التجارية ومقصدا للوارد والصادر[11]، وكذلك محطة للتوقف وتبادل مختلف السلع في أسواقها، بالإضافة إلى كونها مدينة عبور نحو الصحراء لجلب الذهب، فأصبحت بذلك نقطة وصل للتجارة الصحراوية ومحطة رئيسية لرحيل القوافل نحو بلاد السودان، إلى جانب ذلك تنوعت المسالك التي كانت تربط بين سجلماسة والمراكز التجارية نحو بلاد السودان، فمثلت بذلك بابا لمعدن التبر، بالإضافة إلى تعدد وتنوع المراكز التجارية بين البلدين، منها مدينة درعة التي كانت عبارة عن مركز في مدينة سجلماسة، وكذلك ملاحة تغازة التي اشتهرت بملحها الذي كان يتجهز من سجلماسة إلى غانا بالأمتعة والأثقال فتباع في غانا بالتبر، فمن سافر إليها بثلاثين يرجع منها بثلاثة أحمال أو حملين[12]، واشتهرت سجلماسة بثراء سكانها ويعود سبب ذلك إلى تجارة الذهب مع غانا[13].

وإلى جانب هذا اشتهرت مدينة سجلماسة أيضا بإنتاج التمر والذي كان يشكل مادة رئيسية في تموين القوافل وسلعة تبادل رائجة في بلاد السودان، إضافة إلى طريق سجلماسة الذي اعتبر أهم طريق مع بلاد السودان وسمي "بطريق الذهب"[14].

ـ الدور المغربي في السودان الغربي تجاريا وثقافيا:

لقد استطاع الإسلام كحضارة راقية أن يثبت وجود المدنية الإسلامية وأن يطورها، وكان أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في غرب إفريقيا عامة، والسدودان الغربي خاصة إبان العصور الوسطى والحديثة، من الطبيعي أن يكون التواجد المغربي ببلاد السودان الغربي، كثيفا نظرا للعلاقات التجارية التي ربطت المنطقة منذ فترة طويلة[15].

وقد امتازت جسور التواصل بين بلدان المغرب والسودان الغربي بالفاعلية والديناميكية، فقد أضحى التفاعل شاملا، وعمّ جميع القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويظهر أن

الحضارة المغربية ذات الطابع الإسلامي كان لها الأثر الكبير في نشر تعاليم الإسلام الحنيف، وبث لغة الضاد والتفاعل الشامل مع مقومات الحضارة الزنجية من خلال عملية التأثير والتأثر[16].

1 - في مجال التجارة:

مما لا شك فيه أن الوضع الجغرافي للصحراء الكبرى وامتدادها الطبيعي للشمال الإفريقي وحرص القوافل التجارية المغربية على اتباع الخطوط الصحراوية، قد ساعد على تطعيم وتغدية الجو التعليمي بما يحمله هؤلاء من أنباء وأفكار جديدة على منطقة السودان الغربي[17]، وكان التجار المغاربة المسلمين يلفتون الأنظار أينما ذهبوا من نظافة، وتعلم، وتواضع[18]، ولم يستعبدوا تلك الشعوب ولم يقظوا على نظمهم المحلية، وإنما انسجموا معهم وخلقوا في كل المراكز التجارية طابعا محليا يتلاءم مع الدين الإسلامي[19].

وكانت المدن التجارية التي ظهرت على امتداد الطرق التجارية ذات طابع إسلامي، وأدخل إليها المغاربة نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية، وأقيمت في المدن الإفريقية الأسواق في أيام معلومة تقليدا لأسواق المغرب العربي[20]، وكانت عدة طرق مشهورة تنطلق من المغرب الأقصى إلى السودان الغربي، جالبة معها الآلاف من السكان سنويا، مما جعل أثر تجارة القوافل في السودان الغربي ملموسا[21].

كذلك الدور المهم الذي قام به التجار المغاربة في المنطقة هو إدخال المقاييس، والمكاييل والموازين الثابتة في مختلف المبادلات والتعاملات التجارية، ففي الوزن مثلا يستعمل المثقال لوزن المعادن ويساوي وزن اثنين وسبعين حبة من حبات القمح المتوسط، ويقدر وزن المثقال بحوالي أربعة غرامات من الذهب[22]، وبلغ صرف المثقال الواحد ثلاثة آلاف ودعة[23]، والدرهم عندهم يساوي سبعة أعشار المثقال، أما الدينار فكان يساوي أربعين درهما[24]، ويعادل سعر الدينار ستة أوقيات من الذهب، وتزن الأوقية الواحدة حوالي سبعة وعشرين نصف غرام[25]. ومنه فإن التجار المغاربة والجالية التي سكنت في السودان الغربي، كان لهم أثر كبير في التجارة الصحراوية وتنظيمها، وإدخال طرق تعامل جديدة عليها، ومعايير احتفظت بأسمائها واستعملت في جميع أنحاء السودان الغربي وقاموا بتنشيطها خاصة في عهد الأسكيين.

كل هذا التنوع التجاري التي عرفته بلدان السودان الغربي، والازدهار الذي تزامن مع مملكة سنغاي في القرن 10هـ/16م، ما كان له أن يحدث لولا العلاقات التجارية بين الشمال والجنوب والدور الفعال الذي لعبه المغاربة المسلمون في المنطقة، منطلقين من شعار"اعمل واكسب بالوسيلة النزيهة" وما نتج عنها من ازدهار حضاري في المنطقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة.

2 - في المجال الثقافي والحضاري:

هناك جملة من العوامل دفعت المغرب لاحتلال دور الريادة في السودان الغربي إما على المستوى الديني أو الثقافي أو الاقتصادي، حيث كان يضم أشكال حضارية متباينة من مقومات حضارية شرقية إسلامية، إلى مؤثرات حضارية متوسطية فضلا عن تيارات الحضارة الزنجية، وبعد أن أصبحت مراكش عاصمة لإمبراطورية شاسعة تضم الأندلس والمغرب الأقصى، وجزء من المغرب الأوسط، فقد أصبح المغرب الأقصى في تلك الفترة الأمين على التراث العربي الإسلامي بعد سقوط غرناطة[26].

وهكذا لعب المغرب العربي دورا مهما في الازدهار الثقافي الذي مس منطقة السودان الغربي، والجدير بالذكر أن التبادل الثقافي عبر الصحراء لم يتأثر بما كان يجري من تحولات سياسية في السودان الغربي وبلدان المغرب، وأخدت العلاقات بين الطرفين أشكالا إيجابية تمخضت عن ارتباط عضوي سياسي، اقتصادي، وثقافي[27]، ويتمثل الدور المغربي في المجال الثقافي والحضاري في النقاط التالية:

أ - التعليم والحركة العلمية:

لقد كان التعليم في السودان الغربي محصورا بالأساتذة المغاربة، وبعد مضي مدة تكونت طبقة مثقفة من الإفريقيين تولت مهمة التعليم، بعد أن تخرجت من المدارس المغربية والمصرية[28]، حيث كادت مدارس الثقافة الإسلامية في المنطقة أن تكون مدارس مغربية بحتة[29].

وتميز التعليم أيضا بنفس الأسلوب ونفس الحياة، ونفس المثل ونفس الوسائل المتبعة في المغرب الأقصى وحتى طريقة الكتاب نفسها تأثرت أيضا بالطابع المغربي، فالقلم العربي المستخدم هو القلم المغربي، كذلك نفس المناهج والكتب المالكية المغربية منها: كتب عياض، وكتب سحنون، وشروح ابن القاسم وخليل، وتحفة الحكام والعباد، وكتب الونشريسي وموطأ الإمام مالك، والمدونة الخزرجية[30].

وانتقل حب المغاربة للنحو والصرف إلى الإفريقيين، لأن كثيرا من كتب النحو حملها الكثير من الأساتذة المغاربة إلى منطقة السودان الغربي، وإقبال طلاب المنطقة على العلم دفعهم في كثير من الأحيان إلى عدم الاكتفاء بالدراسة في السودان، بل قام الكثير منهم برحلات واسعة إلى بلدان المغرب ومصر[31]، فقد شهدت حواضر المغرب حضور متميز للعناصر السودانية، تنهل من حياض المعرفة إما في رحاب جامعة القرويين بفاس، أو في جامعة ابن يوسف بمراكش، أو في غيرهما من منارات العلم، كما أن علماؤها لم يتوانوا عن الدفع بعجلة النشاط الثقافي ببلاد السودان الغربي. فقد كان من الطبيعي أن تكون الرحلة قائمة بين الجانبين، وأن ينشأ عنها جالية مغاربية في السودان الغربي، وجالية سودانية في بلاد المغرب الأقصى، وضمن هذه وتلك برز عنصر العلماء الذين أسهموا في نشاط

الحركة الفكرية والثقافية هنا وهناك، وارتبطوا ارتباطا وثيقا بمؤلفات المغاربة التي اعتمدوها في حلقات الدروس، ومجالس العلم، وكان للعلماء السودانيين عليها شروح وتعليقات تمثلها تلك المخطوطات السودانية الكثيرة في مكتبات السودان والعالم[32].

ب - الجانب العقدي:

إن تدفق الإسلام من المغرب إلى إفريقيا منذ القرن 5هـ/9م حمل معه إلى غرب إفريقيا تقاليد بلدان المغرب وثقافته، هاته الثقافة قد غلبت عليها التقاليد المالكية الدينية، وكانت كلها تدور حول فقه الإمام مالك، والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه[33]، ويعد ترحيب السودانيين بهذا المذهب مظهر من مظاهر الائتلاف بين الجانبين، حتى أصبح المغرب الوطن الأب في نفوسهم ومشاعرهم[34].

وكان الفقهاء مالكيين في حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم وتأليفهم وتدريسهم، فتأثر بهم سكان المنطقة وتراجم العلماء والفقهاء التي وردت في كتاب نبل الابتهاج، أو في تاريخ السعدي، أو الفتاش تعطينا هذه الصورة المالكية الصرفة، وقام الكثير من فقهاء المالكية المغاربة بالشرح والتعليق على أمهات الكتب وتأليف المختصرات والشروح والحواشي، وقاموا أيضا بالقضاء والإفتاء في المنطقة[35]، وقد تردد كتاب الموطأ في فتح الشكور 14 مرة، ومختصر خليل 54 مرة، وفي المدونة 10 مرات، مما يؤكد انتشار هذا المذهب في السودان الغربي.

ج - كتب التاريخ:

لم يصل إلى علم من اهتموا بتاريخ بلاد السودان منذ القديم أن أبناء تلك البلاد قد وضعوا كتبا مستقلة في التاريخ أو الرحلات قبل الحكم المغربي، ولم يشر أي مؤرخ سوداني إلى أن شيئا من ذلك قد أنجز، والإشارة الوحيدة التي يمكن الاعتداد بها هي التي وردت في خطبة كتاب "تاريخ السودان"، حيث ذكر أن التاريخ السوداني لم يكن مدونا قبله، وكان عبارة عن قصص تروى في الأسمار والمجالس، وتتناول حياة الرؤساء مع أنباءهم ووفياتهم، وسير الصحابة والصالحين. وقد يكون من الصواب التصور بأن الأسكيا الحاج محمد الذي اجتهد في تقليد أمراء المشرق بعد رجوعه من الحج، ونقل إلى بلاده جملة من كتب التاريخ والسير قد رغب في تسجيل سيرته وأعماله ومن سبقه من الملوك، ولكن الأمر الذي لا ريب فيه هو أن فن التاريخ مستقلا أو مشوبا بآداب الرحلات وتراجم الرجال لم تعرفه تمبكتو إلا منذ أواخر القرن 16م، وقد ظهر على التوالي محمود كعتو وعبد الرحمن السعدي ومؤرخ مجهول ترك لنا كتابا قيما درج فيه على طريقة التراجم.

* **محمود كعتو:** ولد هذا المؤرخ السوداني عام 1548م في منطقة كورما غرب غاو، وعاصر في بداية شبابه الأسكيا الحاج محمد، وبعد أن سكن تمبكتو وتلقى العلم على يد فقهائها وبرع في الأدب والفقه معا، تقلد منصب القضاء، وكان زاهدا مكاشفا أحبه الأسكيا وقربه إليه وجعله في زمرة

مستشاريه، ولم تطل حياته كثيرا إذ مات وهو ابن خمسين سنة عام 1593م، لكنه شهد مجيء المغاربة إلى السودان وما سبق ذلك من أزمات سياسية بين البلدين، مما يعطي لكتابه ميزة خاصة سيما وأنه كان يصور تلك الأحداث وهو مقيم في البلاط السوداني، ويروي كل ما سمعه من الأسكيا ورجال دولته، ولم يكتب كعتو الفصول الأخيرة من كتابه بنفسه لأن الأحداث في ما احتواه تاريخه تنتهي وقد مر على وفاة من يفترض أنه كتبها بنفسه ست سنوات، ونميل إلى الاعتقاد أيضا بأنه لم يحرر بنفسه خطبة الكتاب لأنها تختلف من حيث أسلوبها السلس المتين وتعابيرها المنتقاة عن أسلوب الكتاب نفسه، وأغلب الظن أن تلك الخطبة قد حرر بدايتها عالم أو فقيه لأنها لا تتضمن إلا جملة من الأدعية الموضوعة في قالب جميل تزينه المحسنات اللفظية وضروب البديع والبيان، أما نهايتها وهي لا تتعدى عدة أسطر فلاشك أنها من إنشاء المؤلف نفسه لأنها تأخذ نفس الطابع وذات الأسلوب الذي اتبع في مجموع الكتاب تقريبا. ولا يحتوي الكتاب كذلك على أية أبواب أو فصول، بل هو مكتوب دفعة واحدة، ولا توجد به فقرات أو مواقف مع ما حفل به من الاستطرادات وتداخل الأحداث والحشو، غير أنه يعتبر ذخيرة مهمة في تتبع التطور الحضاري والثقافي والاقتصادي، وقد استطاع محققه "هوداس" أن يقسمه إلى ستة عشر فصلا مهتديا في ذلك بالفواصل التاريخية المهمة.

* **عبد الرحمن السعدي:** هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، ولد في بداية العهد المغربي عام 1596م، وقد درس في تمبكتو وبدا عليه الاهتمام بالتاريخ منذ شبابه، ولاشك أنه كان يتتبع الأحداث عن كثب ويدون ما يسمعه أو يراه، أما الفترة السابقة لحياته فقد نقلها ولا شك عن كعتو وغيره، وكان إثباته لها يتسم بالاختصار مع الإنصاف والبعد عن المبالغة، ويبدو أن السبب في ذلك راجع إلى أنه كان يعيش في عهد لم يكن يسمح بالإطناب في الحديث عن ملوك ودول السودان. ولا شك أن السعدي كان مطلعا أكثر من سابقه على كتب التاريخ المعروفة لعهده وعلى طريقة وضعها وعرض أحداثها وإصدار الأحكام حولها، ويظهر أنه بذل مجهودا في تتبع أخبار المغرب، حيث أنه عرضها في فصلين منفصلين وكأنه حضر بنفسه الفترة الحالكة التي أعقبت موت السلطان أحمد المنصور.

وقسم السعدي كتابه "تاريخ السودان" إلى ثمانية وثلاثين بابا، ويلاحظ على فصول الكتاب أنها ضمت أغراضا ثلاثة لا نستبعد أن السعدي قد يكون كتبها بشكل منفصل ثم ضمها إلى بعضها، الغرض الأول هو تسجيل أحداث تاريخية محددة المعالم واضحة الاتجاه، والثاني يمكن أن ندرجه في نطاق فن التراجم، والثالث عبارة عن رحلة متميزة قام بها هو نفسه إلى بلاد مسينا برفقة أحد الباشوات.

- دور علماء المغرب في انتشار اللغة العربية بالسودان الغربي:

إن دخول الإسلام إلي السودان الغربي قد ارتبط باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ولعل تنشيط الحركة التجارية كان من العوامل التي ساهمت في اتساع رقعة اللغة العربية في السودان الغربي، إضافة إلى تلك المساواة التي بسطها الإسلام على من اعتنقه من السودانيين في الحقوق والواجبات والأخلاق الفاضلة التي جاء بها العلماء أدركنا بالفعل أن اللغة العربية بلغت مكانة مهمة وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام والتعليم وكل العلوم المتصلة بهما من نحو وصرف وتفسير وقرآن وفقه وتاريخ وعلم الكلام وغيرها، فصار القانون الإسلامي أو الشريعة والمعتقدات والممارسات جنبا إلى جنب مع اللغة العربية بمحو الأمية(36)، وحتى الذين بقوا على وثنيتهم ولم يعتنقوا الإسلام عرفوا اللغة العربية بحكم مخالطتهم للمسلمين(37).

ولقد ساهم الأئمة المسلمين في انتشار اللغة العربية، وأفتوا بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم والاكتفاء بترجمة معانيه وعدم جواز قراءته بغير اللغة العربية ووجوب أداء الصلاة بها، كما تأثرت طريقة الكتابة عند أهالي السودان الغربي بما هو معروف عند المغاربة في الهندسة ونقوشها، والخط ومعاجم الحروف وترتيبها، ويظهر ذلك فيما تحفل به جدران مساجد المنطقة من الخطوط المختلفة وما يتجلى به رسوم آيات قرآنية، حيث إن النقوش التي وجدت بالمساجد كان يستخدم فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية في كتابة الآيات القرآنية. إضافة إلى مساعدة المراكز الثقافية العربية المنتشرة في الشمال الإفريقي مثل فاس وتلمسان وتوات والقيروان في تأطير تلك الثقافة خاصة في مواسم الحج والعمرة، ومدى رغبتهم في تعلم الحروف الهجائية مثل لغة الطوارق في الصحراء وهي لغة الأمازيغ، ولغة الفلان ولغة الهوسا، وقد دونت بهاتين اللغتين مخطوطات كثيرة مكتوبة بحرف وخط عربي(38).

ولقد عرفت اللغة العربية ازدهارا كبيرا خلال القرن 8هـ /14م بالنسبة لإمبراطورية مالي، حيث سجلت نهضة علمية راقية العمل(39)، روى العمري والقلقشندي أن السلطان منسى موسى وأخوه سليمان كانا يتقنان اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثا، وقد عمل هذا على جعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة المحلية(40)، كما قام منسى موسى من قبل بإرسال بعثات إصلاحية إلى مدن المغرب الإسلامي لمتابعة دراستهم، وخلال حجه عام 1325م اشترى الكثير من الكتب العربية وعند عودته من الحج أنشأ مدرسة كبيرة في مالي بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم(41).

وبالرغم من تأثير العربية باللهجات المحلية من خلال دخول عدة مصطلحات، وكذلك من خلال تعبير بعض الحروف ومخارجها ومدلول بعض الكلمات، فقد استمرت اللغة العربية إلى جانب اللهجات المحلية كلغة للتعامل والثقافة قبل أن يعمل الاستعمار الأوربي على فرض ثقافته، حيث قام بحذف أحرف اللغة العربية بعد أن كانت المؤلفات الإفريقية تدون باللغة العربية التي كانت بأحرف عربية على أسلوب الخط المغاربي في محاولة متعددة للقضاء على مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية.

ـ أثر علماء المغرب في نشر التعليم بالسودان الغربي:

ارتبطت المدارس في غرب إفريقيا ارتباطا شديدا بالدين[42]، فبعد دخول الإسلام إلى السودان الغربي ابتداء من القرن الثامن الهجري كان من الضروري الاطلاع على كتاب الله المكتوب باللغة العربية لغة التدريس والفقه والسيرة وغيرها من الأمور الدنية، كما كان التعليم في أول الأمر محصورا على الأساتذة القادمين من شمال إفريقيا لينتقل إلى طبقة من المثقفين السودانيين الدارسين والمتخرجين من المدارس العربية من المغرب ومصر.

وكان التعليم في بداية انتشار الإسلام يتم على مستوى المدارس الملحقة بالمساجد، التي ارتبطت بالرباطات، وذلك خلال فترة الفتح المرابطي للسودان الغربي، إذ عندما أنشئ عبد الله بن ياسين رباطه، كان يقوم بتعليم أمور الدين فيه فكان يأمر طلابه بعد انتهاء تعليمهم بالذهاب لقبائلهم حتى ينشروا الإسلام على أسس سليمة. أما عن مراحل التعليم في السودان الغربي فكانت كما يلي:

أ ـ التعليم الأولي (الكتاتيب):

خلال هذه المرحلة يتعلم التلميذ القراءة، فإن أتقنها بدأ المعلم يعلمه الكتابة، كما أن التلميذ خلال هذه المرحلة يحفظ القرآن وبعض من المبادئ الفقهية، وعرفت الكتاتيب بأسماء مختلفة منها المكتب القرآني في المشرق العربي، وخلوة في السودان الشرقي والمسيد في بلاد المغرب[43]، وهذه المرحلة التعلمية في الحقيقة هي مطابقة لمرحلة التعليم الأولى في بلاد المغرب، ودليل على ذالك هو ما ذكره عبد الرحمن ابن خلدون إذ يقول: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم المدارسة بالرسم ومسائله والاختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم"[44].

ب ـ مرحلة التعليم الثانوي:

يتخصص الطالب في هذه المرحلة في علوم القرآن والتفسير، إضافة إلى دراسة مواد أخرى مثل الفقه والحديث والفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية[45].

ج ـ مرحلة التعليم العالي:

كان هذا التعليم يتم على مستوى الجوامع ولم يكن مخصص للطلبة فقط، بل يمكن لغير الطلبة الحضور وسماع الدرس، وكان الطلبة يجلسون على شكل نصف دائرة، وفي هذه المرحلة يتعلم الطالب الفقه والنحو واللغة وغيرها من العلوم الشرعية ثم يتعلم العلوم الأخرى حسب رغبته ،وما يميز هذه المرحلة أنها محدودة وغير واضحة حتى يقرر الأستاذ بمنح الإجازة للطالب[46].

وكان في هذه المرحلة يذهب عدد منهم إلي المغرب بهدف حضور مجالس العلم بفاس أو مراكش أو يتوجهون إلي مصر والحجاز لدراسة وأداء فريضة الحج[47].

وتعتبر الرحلة في طلب العلم مهمة جدا، فكلما زاد الإنسان المحب للعلم في الترحال لطلب العلم زاد اكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال(48)، ولم يكن طلبة السودان الغربي هم فقط من يتجهون نحو بلاد المغرب بل حتى علماء المغرب الإسلامي كانوا يتوجهون إلى هذه المناطق الصحراوية بهدف الإصلاح والتعليم ونشر المبادئ الصحيحة للإسلام.

د - الإجازات العلمية:

لقد تشابهت الإجازات في السودان الغربي والمغرب بفضل الاتصال بين علمائها وبصفة خاصة بعد عودة علمائها السودانيين المهاجرين وطنهم(49) أمثال أحمد بابا التمبكتي الذي مكث في مراكش أربعة عشر سنة لأسباب سياسية(50)، هذا الأخير الذي منح جائزة للعالم المغربي عبد الرحمن التمنارتي الذي سبق أن تعرف عليه بمراكش(51). وتعتبر الإجازة مثل شهادة التخرج ولا تعطى الإجازة إلا عندما يتأكد الأستاذ أن الطالب قد تمكن من مادة وأتقنها جيدا وبلغ مرحلة المناقشة والاجتهاد، وتكون الإجازة عن طريق نطق الأستاذ بذلك الإقرار وعلى ورقة تدفع للطالب المتخرج(52)، والإجازة درجات:

- شهادة سماع: وتعني أن الطالب اتبع أقوال العالم وحفظها
- شهادة عرض: أي سرد الطالب على أستاذه مع استذكاره لنصوص ومعرفة شروحها
- إجازة كاملة: وهي أن يصل الطالب إلى المرحلة التي يستطيع معها ذكر الأسانيد وإرجاعها لمصدرها الأول وذكر فوارقها في الرويات بعد الإلمام بفن معين من الفنون(53).

نستنتج أن التعليم في السودان الغربي تأثر وارتبط ارتباطا وثيقا بالمغرب الإسلامي، وينعكس هذا التأثير في تشابه أماكن التدريس وحتى المناهج التعليمية بينهما، ويعود سبب هذا التأثير من خلال نزوح علماء المغرب الإسلامي إلي السودان الغربي بهدف تلقين مبادئ الإسلام والأخلاق الإسلامية إلى سكان السودان الغربي، أو عن طريق مجيء طلاب السودان الغربي إلى المغرب الإسلامي وتلقينهم وتعليمهم العلوم الإسلامية. كما أن وجود علماء المغرب في السودان الغربي ترك عدة تأثيرات، حيث ساهموا في نشر المذهب المالكي ونشر التصوف في المنطقة من خلال ظهور العديد من الطرق الصوفية، هذا نتيجة تأثير العلماء المغاربة الصوفيين الذين أثروا في الأفارقة، وهو ما لانتشار اللغة العربية والخط العربي الذي أصبح يستخدم بدرجة كبيرة.

- المؤسسات التعليمية المغربية ودورها في التعليم العربي بإفريقيا:

كانت عناية العلماء الفاسيين بالتعليم كبيرة، ولذلك أشرفوا على إدارة مؤسساتهم التعليمية بأنفسهم في معظم الأحيان لضمان مراقبة أدائها، كما قاموا بالربط بين التربية والتعليم. وتتمثل هذه المؤسسات التعليمية ونشاطاتها في ما يلي:

1 ـ نشاط المساجد:

إن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، فهو المركز الرئيسي لنشر الثقافة العربية الإسلامية وخاصة في مدينة فاس، فهو مركز تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية في المدينة[54]، ولما كانت الدولتان المرابطية والموحدية قد قامتا على أساس ديني فقد اهتم ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد في أماكن متفرقة، فقد شهدت مدينة فاس اهتماما بالغا بإنشاء المساجد فيها والعناية بها، والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ومن أشهر مساجد فاس التي قامت بدورها كمعهد للتعليم ومركز لنشر الإسلام في السودان الغربي "جامع القرويين" الذي وضع حجر أساسه عام 245هـ/859م ليكون دار فقه وعلم، واهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بهذه المؤسسة الدينية العلمية، وكان مركزا علميا ذا أهمية عظمى، وكعبة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامي ومن السودان الغربي لتلقي العلوم الاسلامية وغيرها من العلوم الأخرى ونشرها.

لقد قامت في إفريقيا جنوب الصحراء مؤسسات للتعليم العربي الإسلامي، وتعد المساجد أهم هذه المؤسسات فيما يخص هذا المجال، لأن المسجد لم تقتصر رسالته على أداء الصلوات فقط، وإنما كان بمثابة مدرسة تعليمية وتربوية، حيث لعبت المساجد دورا كبيرا في تفقيه الناس ونشر الإسلام في جنوب الصحراء.

وما يستخلص مما تقدم أن العملية التربوية التعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء انطلقت من مساجد فاس، أين اتخذها العلماء والطلبة أماكن للعلم والعبادة معا، كما نجد أن الصوفيين لم يكتفوا بتدريس القرآن والعلوم المرتبطة به فقط في المساجد، وإنما أدرجوا ضمن برامجهم الدراسية مختلف العلوم الأخرى كالنحو، الفلسفة، الرياضيات، الهندسة، الفلك، الأدب، الطب، التاريخ، فن الكتابة، التراجم، فازدهرت بذلك الثقافة الإسلامية والحركة العلمية في السودان الغربي.

2 ـ نشاط المدارس القرآنية (الكتاتيب):

عرفت مدينة فاس مدارس احتضنت الطلبة الذين يردون لتلقي العلم من سائر أطراف البلاد وخاصة من السودان الغربي، وقد ظلت المدرسة تقوم بمهمتها في إيواء طلبة العلم وتثقيفهم طيلة أيام المرابطين، أما بالنسبة للمدارس في عهد الموحدين الذين ازدهرت في عهدهم المعارف بما أنشأوه من معاهد ومدارس في إفريقيا جنوب الصحراء والأندلس، فقد كانت تأوي الطلبة ومنهم السودانيين.

وكانت المدرسة القرآنية مؤسسة تعليمية مستقلة، وكان يطلق عليها اسم الدارة في إفريقيا جنوب الصحراء، كما تعددت ألقاب القائمين عليها، أما فيما يخص دورها في مجال التعليم فلا يقل عن دور المساجد بل فاقه خاصة فيما يتعلق بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، وحتى العلوم الإسلامية

الأخرى كالفقه والحديث الشريف، ولفرض اهتمام مسلمي السودان بهذه المدارس بخاصة وأنها تدرّس بدون مقابل، عمل الصوفيون على إقامتها في كل بقعة تصلها أقدامهم، ومن أمثال هؤلاء نذكر "الشيخ عثمان فوديو"، والذي شجع هذا النوع من التعليم، كما عمل على نشر هذه الكتاتيب في كافة المناطق التي كانت تحت نفوذه، حيث قام بدفع المجتمع السوداني للاهتمام بها وذلك بإرسال الأطفال من بنين وبنات إليها ليتعلموا بها، لذلك كانت لهذه المبادرة نتائج بعيدة المدى أهمها تثبيت التعليم الإسلامي العربي في بلاد السودان الغربي، كما أصبح تعلم اللغة العربية أساسا للعلم والمعرفة[55].

ـ مساهمة أعلام من واد نون في الحياة الثقافية بتمبكتو: أحمد بلعراف نموذجا

لعل إحدى مظاهر التأثير الثقافي المغربي خلال المرحلة المدروسة تتمثل في انتقال عدد من رجال العلم من منطقة واد نون إلى تمبكتو، حيث ساهموا في الإشعاع الثقافي للمدينة، ومن بين أهم هؤلاء نجد "أحمد بولعراف" كنموذج، على اعتبار أن تجربته في نشر الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء تميزت ببعض الخصوصيات.

ولد أحمد بولعراف بكلميم عام 1884م وهاجر إلى تمبكتو عام 1904م بعد أن قضى مدة في التحصيل ببعض جهات موريتانيا، كان من مريدي الطريقة التجانية، وقد عمل كمفتي في تمبكتو[56]، وألف عددا من الكتب الدينية. وخلال سنة 1907م أنشأ مكتبة في تمبكتو ثم بعد ذلك أنشأ فروعا تابعة لها في كل من غاو وبوريم، هذه المكتبة أصبحت فيما بعد كأهم واحدة من نوعها في شمال مالي، حيث كانت عام 1945م تتوفر على 5039 كتاب و2075 مخطوط (معظمها تم اقتناؤه فيما بعد من طرف مركز أحمد بابا بتمبكتو والمركز الإسلامي بالنيجر).

ومن أجل الحصول على المخطوطات كان أحمد بولعراف يبعث بالنساخ إلى المناطق الصحراوية في النيجر ومالي وبوركينافاسو لنقلها، في حين أنه للحصول على الكتب المطبوعة كانت له معاملات تجارية مع المكتبات ودور النشر في مصر ولبنان والسينغال والمغرب، وقد همت أقدم هذه المراسلات تجار الكتب المغاربة المقيمين بالسينغال، حيث يعود بعضها إلى عام 1911م وكانت مع تاجر اسمه "أحمد بن جلون" يقيم في سان لويس[57]، وتتحدث إحداها عن إرسال هذا الأخير لخمس طرود بريدية تضم مجموعة من الكتب قيمتها 679 فرنك فرنسي.

وكانت لبولعراف مراسلات مع تاجر مغربي آخر بالسينغال اسمه "أحمد الهروشي" مقيم بروفيسك والذي يشير في مراسلة بعث بها إلى بولعراف عام 1923م أنه يتوفر على جميع الكتب التي عليها الإقبال بالسينغال، ويخبره بأنه رهن إشارته في كل ما يريد اقتناءه منها، وفي مراسلة من بلعراف إلى الهروشي نقرأ أن الأول بعث بحوالة مالية قيمتها 1000 فرنك، مما يبين لنا أن تعامل بلعراف مع مزوديه بالكتب كان يتم عن طريق البريد وكذا الحوالات البنكية، ويؤكد ذلك المعاملات

التي كانت له مع دار الهلال بالقاهرة، ففي مراسلة من الأخوين "اميل وشكري زيدان" موجهة إلى بلعراف في 27 فبراير نسجل وجود رقم حساب آل زيدان في بنك إفريقيا الغربية بدكار، ليقوم بلعراف بتسديد القيمة المترتبة عن الكتب التي أرسلت إليه من دار الهلال[58].

فيما يتعلق بالمراسلات التي تهم المكتبات ودور النشر بالمغرب فقد همت المرحلة الممتدة بين 1924 و1943م وهي مع مؤسسات متعددة من بينها المكتبة الأدبية بطنجة والمكتبة الإدريسية بفاس، والمطبعة الأهلية بالرباط والمكتبة الشرقية بالدار البيضاء، غير أن أهم هذه المراسلات كانت مع شخص من مراكش اسمه "عبد القادر القادري" والذي كان يسافر إلى مصر لاستقدام الكتب، كما يظهر من إحدى المراسلات إلى بولعراف، وقد شمل التعامل التجاري بينهما مجالات أخرى، ففي مراسلة بعث بها بولعراف إلى القادري بتاريخ 17 يوليوز 1925 والتي تضمنت كذلك حوالة مالية بقيمة 1000 فرنك نجده يطلب منه أن يخصص نصفها لإرسال الكتب والنصف الثاني لبعض منتوجات الصناعة التقليدية المغربية أساسا الزرابي وبعض الأواني النحاسية[59].

أما بالنسبة لطبيعة الكتب التي كان يستوردها بولعراف يتبين لنا من خلال اللوائح التي ترافق المراسلات أن أهم الكتب المستوردة من المغرب ومصر هي ذات طابع أدبي وديني، فمن الناحية الأدبية نجد بالخصوص تلك التي تهم العنصر العباسي مثل ديوان البحتري وديوان أبي تمام وديوان أبي نواس ثم مقامات الحريري، في حين أنه بالنسبة للكتب الدينية المستوردة من مصر كانت تهم أساسا كتب الحديث وكذا كتب بعض المذاهب، ومن بين العناوين التي تتكرر باستمرار نجد صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند ابن حنبل.

وبالنسبة للكتب الأدبية المستوردة من المغرب فإنها لا تختلف كثيرا عن تلك التي كان يتوصل بها من مصر، في حين أن الكتب ذات الطابع الديني كانت في كثير من الحالات تهم مؤلفات حول الطريقة التيجانية، ومن العناوين التي تتكرر باستمرار نجد جواهر المعاني والبغية في الطريقة التيجانية لحرازم برادة، ولعل الإقبال على كتب التيجانية ساهم فيه بالإضافة إلى وجود أتباع لهذه الطريقة بتمبكتو كون أحمد بولعراف من أتباع هذه الطريقة كما سبقت الإشارة.

وفيما يخص الكتب المستوردة من لبنان فمن خلال اللوائح التي توجد ضمن المراسلات يتبين أن أغلبها ذات طابع لغوي، ومن العناوين التي تتكرر هناك القواميس أساسا القاموس الفرنسي العربي، إضافة إلى بعض الكتب حول مبادئ اللغة الفرنسية وطريقة تعليمها[60].

وكيفما كان طابع هذه الكتب فإن الإقبال عليها في تمبكتو كان كبيرا، وهذا ما نستشفه من مراسلة بعث بها أحمد بولعراف إلى شقيقه ووكيله في غاو، حيث يطلب منه أن يعيد له جميع الكتب التي لم ينجح في تسويقها على اعتبار سهولة تسويق معظمها بتمبكتو.

ـ أهمية الطرق والقوافل التجارية في نشر الثقافة الإسلامية والتبادل المعرفي والفكري ونقل العلماء:
1 ـ نشر الثقافة الإسلامية:

كان انتشار الإسلام في هذه المناطق بفضل الحركة التجارية التي رافقتها حركة علمية نشطة، إذ ساهم التجار بدورهم في نشر الإسلام خاصة المغاربة، الذين نقلوا إلى بلاد السودان الغربي السلع والمعارف والمخطوطات والثقافة الإسلامية، ليتمكنوا بذلك من "إرساء حركة ثقافية وعلمية جمعت بين علوم المشرق والمغرب، وامتزجت بثقافة وعرف الأفارقة، وذلك بفضل الجوار الجغرافي والازدهار العلمي من خلال الرحلات العلمية ولقاء مواكب الحج"[61]، فإلى أهل السودان حملت تلك التجارة السلع المحتاج إليها، ونشرت الثقافة الإسلامية التي تركت أثرها من أي شيء آخر في تشكيل التطور الاجتماعي والسياسي، ودفعت هذه الثقافة سكان هذه المناطق إلى التطلع والتطور بعد قرون من التخلف[62].

وإلى جانب الإسلام ساهم التجار المغاربة في نشر اللغة العربية في أواسط المسلمين الجدد حديثي العهد بالإسلام، باعتبار أنها لغة الدين والتعامل[63]، خاصة بعد هجرة العلماء الواسعة عقب قيام الإمارات الإسلامية بالسودان الغربي الذي كان يشمل كل من حوض السينغال، وغامبيا، وفولتا العليا، والنيجر الأوسط، والمناطق المحيطة ببحيرة تشاد، وتوافد عدد كبير من التجار لهذه المناطق سواء من المشرق أو المغرب، فكان من أهم الطرق التي انتشرت بها الثقافة الإسلامية ما يلي:

- هجرة العلماء إلى هذه المناطق والاستقرار بها
- طريق قوافل الحجاج
- تأثير التجار المسلمين بعاداتهم وتقاليدهم في هؤلاء السكان خاصة بعد أن أظهر المسلمون سلوكات إسلامية عالية ومتميزة أثرت في غيرهم من اشتهارهم بالصدق إلى حسن المعاملة للغير وتأدية للعبادات[64]، إذ كان "التاجر المسلم بسلوكه وخبرته بالناس وخلقه الإسلامي ما جعله محل ثقة الأفارقة ووفر له ذلك القبول الحسن لديهم، وما أن يدخل هذا التاجر إلى قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات صلاته وعبادته التي يبدو فيها وهو خاشع يناجي ربه وخالقه"[65].

وكان لتطور وازدهار الثقافة الإسلامية عوامل منها:

أ ـ انتشار الكتاب:

يعتبر أهم ركيزة يقوم عليها التقدم الحضاري للمجتمعات سواء في الحاضر أو الماضي، فهو السجل الذي يحفظ فيه العلماء والمفكرون والأدباء معارفهم، والوعاء الذي تحفظ فيه المعارف والوسيلة التي تبلغ ذلك الكنز المعرفي لمن أراده[66]، هذا إلى جانب الإنتاج الهائل من الكتب والمخطوطات أثر في ذلك، إذ كانت من بين السلع التي تحملها القوافل إلى تلك المناطق "الكتب المخطوطة والمنسوخة،

والورق والأقلام... واهتمام العلماء بتدريس العلوم الإسلامية في مختلف مراكز العمران الصحراوية، وعلى رأسها تمبكتو، توات، ورقلة، تقرت، غات، وغدامس"[67].

ب ـ التدريس:

قام المغاربة على صعيد المؤسسات التعليمية بالعواصم الإفريقية بدور بارز في تأسيس التواصل المعرفي وتغذيته باستمرار، وكان عدد كبير منهم أساتذة ومستشارين ومسؤولين كان لهم شرف المساهمة في تعميق وتبرير هذا التوجه التاريخي للصلات الحضارية المغربية الإفريقية انطلاقا من العصر الحديث، ويكفي الباحث دلالة على ذلك مختلف الرحلات المغربية التي نقلت إلينا عشرات من هاته الشخصيات التي استقرت بمناطق شعوب الصحراء، وسهلت التبادل وواكبته وغدته مختلف الروافد المعرفية والتجارية والسياسية، وعلى الخصوص منها التدريس ونقل الكتاب وتقصي أخبار المخطوطات والعلماء.

ج ـ بناء المدارس:

حملت القوافل التجارية العديد من البشر إلى بلاد السودان سنويا، ليكون بذلك تأثير هؤلاء ملموسا بهذه المنطقة، مما زاد في تعميق العلاقات الثقافية عن طريق إنشاء المدارس لتعليم القرآن واللغة العربية التي تعتبر لغة القرآن وبناء المساجد لتعليم مبادئ الإسلام، إلى جانب ممارسة نشاطهم التجاري[68].

2 ـ التبادل المعرفي والفكري:

لقد كانت القوافل التجارية وسيلة مهمة للتبادل الثقافي خاصة فيما يخص الإنتاج الفكري (كتب، مخطوطات أو منسوخات)، أو وسائل ذلك من ورق وأقلام وحبر، أو فرصة لتبادل بعض المسائل الفقهية كالإفتاء خاصة أثناء أوقات الاستراحة، أو حدوث مشكلة بين أوساط التجار أو الحجاج باعتبار أن ركب الحج له دور اقتصادي.

أ ـ تبادل الكتب:

كان تبادل الكتب من أهم أصناف التجارة المغربية المعروفة لارتفاع أسعارها وجني التجار أرباح كبيرة سواء الكتب المشرقية أو المغربية، فكانت الفائدة في الربح التجاري والربح الثقافي في المغرب[69] بالمؤلفات الجديدة سواء المغربية أو الآتية من المشرق، وفي نفس الوقت تعريف بالمؤلفات المغربية ونشرها إلى الخارج، حيث كان الكتاب يعتبر "أهم الأوعية لنقل المعرفة يومئذ وتداولها وتطورها"[70].

فقد أكدت الدراسات التاريخية أن القوافل المغربية نحو جنوب الصحراء والقوافل الصحراوية باتجاه شمال إفريقيا كانت تتخذ دورات ثابتة تضم حوالي 10.000، منهم التاجر والحاج والعالم

وطالب العلم، القاطعين لمسافات طويلة بين الاتجاهين، كل ذلك ساهم في تعميق الصلات بين هذه الشعوب، وقدمت بهذا التواصل الدلالة العميقة[71].

ومن مظاهر هذا التواصل كذلك أن العديد من الكتب المخطوطة والمنسوخة والورق كانت رائجة بشكل واسع في المناطق الصحراوية، وهذا لانتشار الثقافة والعلوم العربية الإسلامية التي زاد الطلب عليها بكثرة في جل المراكز العمرانية الكبرى مثل تمبكتو، توات، ورقلة، غدامس[72]، ومن أهم المدن المغربية التي لعبت دورا مهما في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وجنوبها مدينة فاس نظرا لمكانتها التجارية، إذ كانت مقصد أهل بلاد السودان لقضاء حاجاتهم، كما كان أهلها وغيرهم من المغاربة يشدون الرحال إلى بلاد السودان كتجار وأدباء وفقهاء وسفراء، فحملوا معهم الكتاب المغربي وعادوا بنظيره السوداني، وخير دليل على ذلك احتواء الخزائن الفاسية على مخطوطات سودانية[73].

ب ـ الإفتاء ونقل الأخبار:

من بين الأدوار التي لعبتها الطرق والقوافل التجارية تناول بعض المسائل الفقهية في بعض القضايا المحيرة باعتبار أن بعض الحجاج يمارسون التجارة، ومن أهم المسائل الفقهية التي يوردها الرحالة العياشي أثناء نزوله بالقرب من مدينة ورقلة قوله: "ولقيت بها رجلا ممن ينتقل الفقه اسمه سيدي محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر"[74]، وهو في غالب الظن من أهل الخير، وله بعض الخبرة بفروع الفقه، وكان وجه إلى الركب بسؤالين إحداهما في نازلة من الأحباس والثاني في نازلة من البيوع.

إلى جانب الإفتاء[75] وتناول المسائل الفقهية في الطريق فإن الطرق تتيح نقل الأخبار من منطقة إلى أخرى أو تلقيها، فقد ذكر العياشي أثناء التقاء الركب المغربي الذي كان بصحبته بنظيره في زواغية بليبيا قوله: "وتلقينا منهم خبر ما استقبلناه من البلد، ولقينا معهم بعض أهل بلدنا..."[76]، مع العلم أن الطريق كانت تربط بين أهم المدن التجارية التي كانت في نفس الوقت أعظم المراكز العلمية حسب ما نقله معظم الرحالة، فكانت مراكز لمناقشة المؤلفات أو مجالس للعلماء[77] أو أداء للعبادات كحضور الصلاة.

كما أن الطرق والقوافل كانت تعتبر الأداة الأساسية أمام طلاب العلم والمعرفة وفرصة التقاء بالعلماء في الطريق والأخذ عنهم، أو شراء الكتب أو نسخها وحتى استعارتها[78]، وهذا في كل محط يحط به الركب، كما أن القافلة في بعض الأحيان تؤذي بالإنسان إلى معرفة المزيد من الأشخاص كصحبة في الطريق، هذا إلى جانب الدور الاقتصادي المهم لركب الحج، إذ كان مناسبة للعلماء والمثقفين للتعرف وتبادل المعارف[79] كتعرف العياشي أثناء رحلته ومروره بتقرت على محمد ابن عبد

الكريم المغيلي[80] قاضي توات، فكان هذا التعارف تعارف مغربي جزائري لأن القوافل المتجهة نحو مكة لم تكن ذات هدف ديني فقط بل وفكري وتبادل الجديد بين الأفراد[81].

3 ـ نقل العلماء:

لقد كانت من ميزات العلماء أو طلاب العلم التحرك من منطقة إلى مناطق أخرى طالبين لمناهل العلم أينما وجدت، أو للحصول على الإجازات، فكانت للقوافل أهمية كبيرة باعتبارها فرصة ينتقل خلالها العلماء والطلبة المغاربة قاصدين أماكن العلم والمعرفة في المشرق خاصة المسجد الجامعة (الأزهر) بمصر، حتى أنه كان لديهم رواق يسمى برواق المغاربة[82]، فكان بذلك الركب وسيلة لتنقل معظم العلماء المتوجهين إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج أين يحدث هناك تبادل ثقافي وعلمي بينهم، وكان العلماء المغاربة يحطون بالعواصم العربية لأخذ العلم وإعطائه مثل الزيتونة بتونس[83]، وربما يعود سبب اختيار القوافل لهذه المهمة (النقل) لضمان الأمن والحماية من مخاطر الطريق، فكان العلماء يساهمون المساهمة الكبيرة في ترقية مجال الاتصال الإنساني عن طريق القوافل التجارية، حيث انتشرت الحضارة في ربوع السودان الغربي وأجزاء من إفريقيا[84].

ويرجع الكثير أن مد جسور التواصل يعود إلى الإسهام الكبير لقوافل الحجاج وتجار الكتب، إذ كانت من العادة أن تحتوي قوافل الحجيج على عدد من العلماء، بحيث كان مرورها بالحواضر الإسلامية مناسبة وفرصة لعقد اللقاءات وتبادل الأفكار وأخذ الإجازات العلمية من علماء تلك الحواضر، فكان العلماء بذلك محل احترام وتقدير أينما حلوا وارتحلوا[85].

في حين ساهمت أيضا العلاقات الاقتصادية والحركية التجارية إلى تنقل بعض المغاربة من حواضر تلمسان وفاس إلى توات تاركين التدريس ليتولوا مناصب جديدة هناك، منها القضاء والإفتاء والشورى، ومن أهمهم ابن يحيى والفقيه يحيى بن يدير، وكانت تمبكتو وجهة استقطاب لرجال الدين والدعاة وحتى التجار بداية من القرن 14م، إذ كانت هجرة العلماء إلى الحواضر الإفريقية تشهد تزايدا كبيرا خلال القرن 18م، فقد كان الكثير من علماء المغرب من فاس ومكناس يفضلون الوجهة إلى هذه المراكز في الجنوب أين تم نشر الثقافة الإسلامية فيها[86]، علما أن الزعماء والحكام والملوك الأفارقة قد تشربوا حب المعرفة ودافعوا عن العلماء وسعوا إلى تشجيعهم ومنحهم رواتب مجزية[87]. هذه الرحلات التي كان يقوم بها العلماء والطلاب المغاربة إلى البلاد الإسلامية حيث يعودون بكنوز معرفية ومعنوية ومادية أضحت مراجع لهم ولثقافتهم[88]، فكانت بذلك العديد من الطرق تعج بحركة العلماء حتى أن البعض منها أخذ تسمية "طريق الفقهاء"[89].

وبذلك تكون القوافل التجارية قد ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في أوساط الأفارقة، مما أدى إلى دخول مجموعات عديدة إلى الدين الإسلامي، أضف إلى ذلك ما نتج عن احتكاك تجار القوافل

بغيرهم من الشعوب لينتج عن ذلك تبادل معرفي أدى إلى التعرف على ثقافات الغير والتعريف بالثقافة المغربية وما أنتجته.

- خاتمة:

أدى المغاربة دورا مهما في التأثير على مختلف جوانب الحياة الفكرية والثقافية بمنطقة السودان الغربي خلال القرنين 15 و16م، ولم يتوقف هذا التأثير حتى يومنا هذا، بل أصبح بوتقة انصهرت فيها الثقافة العربية الإسلامية الوافدة في نوع من التعايش السلمي والامتزاج والترابط مع الثقافات الإفريقية المحلية، الأمر الذي أدى إلى غلبة الطابع العربي الإسلامي في المنطقة، ويلاحظ المتتبع لحركة التاريخ أن الاتصالات والتمازج والانصهار العربي الإفريقي قد توج خلال الفترة المؤرخ لها بقيام مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين، والتي لعبت دورا أساسيا في حمل مشعل الحضارة الإسلامية في السودان الغربي على مدى ثلاثة قرون.

فبعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا تولى المغاربة تأمين أسواق السودان الكبرى وعملوا على تنظيم المواصلات مع هذه البلاد على أساس تجاري أولا، ثم ما فتئ يتوطد عبر الفترات التاريخية اللاحقة حاملا معه مجموعة من التنظيمات الاجتماعية والدينية والحضارية، حيث كان للإسلام الفضل الأكبر في نقل اللغة العربية ومختلف علوم الدين إلى أماكن كثيرة من السودان الغربي، ولم يكن لجهود الدعاة والوعاظ ولا لحلقات العلم في الجوامع من هدف سوى تعريف السودانيين بالآداب الإسلامية وقواعد الدين وتنظيم المجتمع على أسس جديدة.

ويرجع إلى فقهاء المغرب الذين استوطنوا السودان الغربي لسنوات طويلة الفضل في تعريف أهل البلاد العلوم الدينية التي نقلوها ودرسوها لهم، والتي انتشرت على نطاق واسع في معظم بلدان السودان الغربي، ومما يدل على ذلك كثرة المؤلفات التي تركها هؤلاء العلماء وباتت معروفة ومقروءة من العامة والخاصة، ومتداولة بين أيدي طلاب العلم، ومن النادر أن نجد بين هذه المؤلفات كتابا واحدا لعالم غير مغربي الأصل، بل إن المناهج والمؤلفات المغربية كانت هي التي تدرس في السودان الغربي، حيث كانت كتب المالكية هي المتداولة.

ومن المعروف أن العلاقات التي ربطت السودان الغربي بالشمال الإفريقي مند القديم إلى أن جاء الاستعمار الأوربي إلى المنطقة، كان لها الفضل في حدوث تراكم وتفاعل حضاري بين الطرفين، وقد انتظمت وتوطدت تلك الصلات بين الجانبين عبر قنوات متعددة كالتجارة، لكن البعد الديني كان حاضرا بقوة في هذه العلاقات من خلال الأدوار المختلفة التي اضطلعت بها بعض المؤسسات الاجتماعية والجماعات الدينية كالزوايا والمساجد والكتاتيب، وكانت التجارة بمثابة المحرك والميكانيزم الحقيقي لتلك الروابط التي جمعت بين الطرفين، وكانت الوجه الأكثر وضوحا من أوجه تلك العلاقات

باعتبارها المنطلق الأول الذي نبعت منه وترتبت عنه الروابط الأخرى السياسية منها والاقتصادية والحضارية وحتى العقائدية.

ولم تكن الثقافة في غرب إفريقيا أقل غزارة وعمقا من الثقافة في بلاد البلدان المغاربية، ولم يكن العلماء والفقهاء الذين تعرضت لهم كتب التراجم أقل في مستواهم العلمي من إخوانهم المغاربة، فالتفاعل والتواصل والتلاحم بين الأقطار الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى كان عميقا وقويا ظهرت فيه عناصر التأثير والتأثر بين الجانبين في جميع ميادين الحياة، ولهاذا فإن الحركة الثقافية والحضارية في بلاد السودان الغربي خلال القرن 10هــ/16م لم تكن في الواقع مجرد تجديد لتراث ثقافي وحضاري بائد، وإنما كانت انفراجا لثقافة إسلامية راسخة في هذه البلاد منذ قرون خلت، وأدّى المغاربة دورا كبيرا فيها.

ـ الهوامش:

1 ـــ أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص. 88.

2 ـــ عبد الواحد المراكشي، **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1983، ص. 165.

3 ـــ الحسين عماري، **فاس حلقة التفاعل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث وبداية المعاصر**، دورية كان التاريخية، العدد 17، السنة الخامسة، مصر، 2012، ص. 118.

4 ـــ أبو عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، 1992، ص. 376.

5 ـــ وفاء يعقوب جبريل برناوي، **دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي: دراسة تاريخية حضارية**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003، ص. 106.

6 ـــ أو عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراف الآفاق**، تحقيق روبانتشي وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص. 20.

7 ـــ أبو القاسم ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص. 100.

8 ـــ الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص. 161.

9 ـــ التجارة الصامتة: يعتبر من مصطلحات المقايضة بناءا على رضى الطرفين، حيث تتم هذه التجارة بدون كلام ودون أن يرى البائع زبونه والتي اشتهرت في بلاد السودان أين توجد مناجم الذهب، وتتم هذه التجارة من خلال أنه عندما يصل تجار الشمال إلى الحدود الفاصلة بين غانا والصحراء يضعون بضائعهم ولهم خط لا يتجاوزونه، وعندما يصلون إليه يضعون بضائعهم عليه وينصرفوا، فكانت هذه التجارة تعرض على شكل أكوام من الذهب بجوار كل كومة البضائع التي جلبت لتستبدل بالذهب، وغالبا ما كان الملح والذي كان يرغبه أصحاب بلاد التبر، فإذا رضي التجار بما وضعه هؤلاء من الذهب أخذوه ورحلوا حتى تتم المبايعة بين الطرفين.

10 ـــ زكرياء بن محمود القزويني، **ثأر العباد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ص. 19.

11 ـــ حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،: عصر الموحدين والمرابطين**، مكتبة الخنائجي، مصر، 1980، ص. 273.

12 ـــ أبو العباس بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء 5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص. 99.

13 ـــ شنايت العيفة، **دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها بين القرنين 2 و4هـ**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1990 ــ 1991، ص. 76.

14 ـــ محمد بركات البيلي، **مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان**، مجلة المؤرخ المصري، العدد 2، القاهرة، 1989، ص. 76.

15 ـــ محمد الشريف، **الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي: القرن 8هـ/14م**، ضمن ندوة "**التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**"، تقديم عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999، ص. 443.

16 ـــ الطيب الوزاني، **مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقيا والمغرب الأقصى**، ضمن ندوة "**التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**"، تقديم عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999، ص. 480.

17 ـــ عبد الجليل التميمي، **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1981، ص. 19.

18 ـــ نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، الجزائر، ص. 139.

19 ـــ حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص. 43.

20 ـــــ نفسه، ص. 140.

21 ـــــ الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر**، معهد البحوث والدراسات الغربية، بغداد، 1984، ص. 95.

22 ـــــ الدالي الهادي المبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999، ص. 336 ـــــ 337.

23 ـــــ محمود كعت التمبكتي، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق وتر هوداس ودولافوس، مطبعة هوداس، باريس، 1964، ص. 183.

24 ـــــ عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 200.

25 ـــــ الدالي الهادي المبروك، المرجع السابق، ص. 337.

26 ـــــ شوقي عطا الله الجمل، **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا: سماتها ودور المغرب فيها**، مجلة المناهل، العدد 7، مطبعة فضالة، المحمدية، 1976، ص. 134.

27 ـــــ محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي: نشأته وآثاره**، إشراف نقولا زيادة، الجزء الأول، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، د ت، ص. 513.

28 ـــــ نعيم قداح، المرجع السابق، ص. 160.

29 ـــــ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص. 244.

30 ـــــ عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس، المطبعة الأمريكية الشرقية، باريس، 1981، ص. 43 ـــــ 46.

31 ـــــ عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص. 57.

32 ـــــ عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص. 54.

33 ـــــ حسن أحمد محمود، م. س، ص. 244.

34 ـــــ الطيب الوزاني، المرجع السابق، ص. 484.

35 ـــــ أحمد مرجان محمد، **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ص. 98.

36 ـــــ عثمان منادي، **الحياة العلمية في حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 8 و9هـ/14 - 16م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011، ص. 100.

37 ـــــ كلود الدوكو فضل، **العلماء الأفارقة ودورهم الحضاري في غرب إفريقيا**، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، اليوكيلي للطباعة والنشر، الرباط، 1995، ص. 70.

38 ـــــ صلاح محمد البخاري حمودة، **آثار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء: تمبكتو وغدامس نموذجا**، دار الكتب الوطنية، الجزائر، ص. 108.

39 ـــــ نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي مع المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين**، رسالة لنيل الماجيستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005 ــ 2006، ص. 178.

40 ـــــ نعيم قداح، **الثقافة العربية الإسلامية وانتشارها في إفريقيا الغربية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1963، ص. 49.

41 ـــــ نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص. 179.

42 ـــــ عصمت عبد الطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص. 167.

43 ـــــ عبد الكامل عطية، **الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء: 1493 – 1894م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سعد الله أبو القاسم، الجزائر، 2014 – 2015، ص. 337.

44 ـــــ عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الجزء 2، دار البخلي، الجزائر، ص. 353.

45 ـــــ محمد فاضل علي باري، إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص. 106.

46 ـــــ محمد حمد كنان ميغا، **مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تمبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي**، مجلة قراءات إفريقية، العدد 3، 2007، ص. 32.

47 ـــــ محمد الغربي، المرجع السابق، ص. 548.

48 ـــــ عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص. 359.

49 ـــــ محمد الغربي، م. س، ص. 555.

50 ـــــ أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الدباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د ت، ص. 22.

51 ـــــ محمد الغربي، م. س، ص. 556.

52 ـــــ عبد القادر زبادية، **القرن 16 وحركة التعليم في تمبكتو مركز الثقافي الأول مع العرب**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14، 1980، ص. 224.

53 ـــــ أحمد محمد كانمي، **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مطبعة الزهراء للإعلام الآلي، القاهرة، 1970، ص. 33.

54 ـــــ طه جمال أحمد، **فاس في عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص. 273.

55 ـــــ سعاد مصطفاوي، **دور الطريقة القادرية في غرب إفريقيا بين القرنين 15 و18م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص. 86.

56___ Tamouh Zahra, **Les relations commerciales entre le Maroc et le Soudan pendant la deuxième moitié du vingtième siècle**, Thèse de 3 ème cycle, Paris IV, p. 123.

57___ Michel Abitbol, **Les armes de Tombouctou**, Edition Maisonneuve, Larose, Paris, 1979, p. 87.

58___ Michel Abitbol, **Le Maroc et la commerce transsaharien du XVII^{ème} siècle au début du XIX^{ème} siècle**, in Revue de l'occident Mussulmen et de la Méditerranée, N° 30, 2ème semestre, 1980, p. 152.

59___ Hun-Wik Hohn **Les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique Sud Saharienne à travers les âges**, Edition Institut des Etudes Africaines, Rabat, 1990, p. 64.

60___ Adam BA Konare, **Les relations politiques et culturelles entre le Maroc et le Mali à travers les âges**, Edition Institut des Etudes Africaines, Rabat, 1991, p. 132.

61 ـــــ عبد الله مقلاتي، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، الشروق، الجزائر، 2009، ص. 58 ـــــ 59.

62 ـــــ روبن هاليت، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي، 1988، ص. 383.

63 ـــــ عوص الله الأمين، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، ضمن ندوة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر،

نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص. 95.

64 ــــ مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص. 37 ــــ 38.

65 ــــ الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء: رحلة انتشار الإسلام**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص. 104.

66 ــــ حماش خليفة، **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني: وقفية الباي التونسي البشير أحمد باشا عام 1256هـ/1840م**، مجلة أوقاف، العدد 22، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2012، ص. 49.

67 ــــ يحيى بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**، دار هومة، الجزائر، 2001، ص. 52.

68 ــــ عوض الله الأمين، المرجع السابق، ص. 95.

69 ــــ عوض الله الأمين، م. س، ص. 87.

70 ــــ عبد الجليل التميمي، **الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية خلال العصر الحديث**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 49 ــــ 50، تونس، 1988، ص. 89.

71 ــــ نفسه، ص. 30.

72 ــــ بوعزيز يحيى، **طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980، ص. 135.

73 ــــ الحسين عماري، المرجع السابق، ص. 108 ــــ 109.

74 ــــ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص. 82.

75 ــــ محمد المختار ولد السعد، **مسالك القوافل ودورها في التواصل الثقافي بين طرفي الصحراء خلال القرن 19م: قراءة في رحلة الولاتي**، ضمن أعمال طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2001، ص. 108.

76 ــــ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المرجع السابق، ص. 40.

77 ــــ عبد الكريم كريم، **ليبيا في مخطوطات الرحالين المغاربة خلال القرنين 11 – 12هـ/17 – 18م**، مجلة التاريخ العربي، العدد 8، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص. 148.

78 ـــــ فيلالي مختار بن الطاهر، **رحلة الورثيلاني: عرض ودراسة**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1998، ص. 96.

79 ـــــ شويتام أرزقي، **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية: الفترة العثمانية**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، الجزائر، 2011، ص. 81.

80 ـــــ محمد بن أبي شنب، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص. 253 ـــــ 255.

81 ـــــ Carette E., **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale**, Paris, 1840, p. 174.

82 ـــــ Raymond André, **Les quartiers de residence des commerçants et artisans Maghrébines au Caire aux 17 et 18 siècle**, R.H.M, N° 31 – 32, Tunis, 1983, p. 355.

83 ـــــ شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص. 82.

84 ـــــ عبد القادر زبادية، **ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري**، مجلة الأصالة، عدد خاص، الجزائر، 1977، ص. 146.

85 ـــــ أحمد أبو زيد، **التواصل الثقافي بين المغرب وإفريقيا الغربية من خلال إجازة الفقيه أحوزي**، مجلة التاريخ العربي، العدد 9، الإمارات العربية المتحدة، 1999، ص. 203 ـــــ 204.

86 ـــــ بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص. 21.

87 ـــــ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 89.

88 ـــــ أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص. 92 ـــــ 93.

89 ـــــ ولد السالم حماه الله، **قوافل الحج ومسالكها بين غرب الصحراء والسودان مع المغرب والمشرق خلال العهد العثماني**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 116، تونس، 2004، ص. 210.

- البيليوغرافيا:

- أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبو العباس بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء 5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- أبو القاسم ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

- أبو عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، 1992.

- أو عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراف الآفاق**، تحقيق روبانتشي وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

- أحمد أبو زيد، **التواصل الثقافي بين المغرب وإفريقيا الغربية من خلال إجازة الفقيه أحوزي**، مجلة التاريخ العربي، العدد 9، الإمارات العربية المتحدة، 1999.

- أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الدباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د ت.

- أحمد محمد كانمي، **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مطبعة الزهراء للإعلام الآلي، القاهرة، 1970.

- أحمد مرجان محمد، **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010.

- أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2006.

- الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر**، معهد البحوث والدراسات الغربية، بغداد، 1984.

- الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

- الحسين عماري، **فاس حلقة التفاعل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث وبداية المعاصر**، دورية كان التاريخية، العدد 17، السنة الخامسة، مصر، 2012.

- الدالي الهادي المبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999.

- الطيب الوزاني، **مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقيا والمغرب الأقصى**، ضمن ندوة "**التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**"، تقديم عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999.

- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء: رحلة انتشار الإسلام**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998.

- بوعزيز يحيى، **طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980.

- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،: عصر الموحدين والمرابطين**، مكتبة الخنائجي، مصر، 1980.

- حماش خليفة، **وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني: وقفية الباي التونسي البشير أحمد باشا عام 1256هـ/1840م**، مجلة أوقاف، العدد 22، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2012.

- روبن هاليت، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي، 1988.

- زكرياء بن محمود القزويني، **ثأر العباد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت.

- سعاد مصطفاوي، **دور الطريقة القادرية في غرب إفريقيا بين القرنين 15 و18م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010.

- شنايت العيفة، **دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها بين القرنين 2 و4هـ**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1990 ــ 1991.

- شوقي عطا الله الجمل، **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا: سماتها ودور المغرب فيها**، مجلة المناهل، العدد 7، مطبعة فضالة، المحمدية، 1976.

- شويتام أرزقي، **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية: الفترة العثمانية**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، الجزائر، 2011.

- صلاح محمد البخاري حمودة، **آثار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء: تمبكتو وغدامس نموذجا**، دار الكتب الوطنية، الجزائر.

- طه جمال أحمد، **فاس في عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.

- عبد الجليل التميمي، **الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية خلال العصر الحديث**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 49 ــ 50، تونس، 1988.

- عبد الجليل التميمي، **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1981.

- عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الجزء 2، دار البخلي، الجزائر.

- عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس، المطبعة الأمريكية الشرقية، باريس، 1981.

- عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

- عبد القادر زبادية، **القرن 16 وحركة التعليم في تمبكتو مركز الثقافي الأول مع العرب**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14، 1980.

- عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- عبد القادر زبادية، **ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري**، مجلة الأصالة، عدد خاص، الجزائر، 1977.

- عبد الكامل عطية، **الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء: 1493 - 1894م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سعد الله أبو القاسم، الجزائر، 2014 ــ 2015.

- عبد الكريم كريم، **ليبيا في مخطوطات الرحالين المغاربة خلال القرنين 11 - 12هــ/17 - 18م**، مجلة التاريخ العربي، العدد 8، الإمارات العربية المتحدة، 1998.

- عبد الله مقلاتي، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، الشروق، الجزائر، 2009.

- عبد الواحد المراكشي، **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1983.

- عثمان منادي، **الحياة العلمية في حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 8 و9هــ/14 - 16م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011.

- عصمت عبد الطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

- عوص الله الأمين، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، ضمن ندوة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

- فيلالي مختار بن الطاهر، **رحلة الورثيلاني: عرض ودراسة**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1998.

- كلود الدوكو فضل، **العلماء الأفارقة ودورهم الحضاري في غرب إفريقيا**، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، اليوكيلي للطباعة والنشر، الرباط، 1995.
- محمد الشريف، **الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي: القرن 8هـ/14م**، ضمن ندوة "**التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**"، تقديم عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999.
- محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي: نشأته وآثاره**، إشراف نقولا زيادة، الجزء الأول، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، د ت.
- محمد المختار ولد السعد، **مسالك القوافل ودورها في التواصل الثقافي بين طرفي الصحراء خلال القرن 19م: قراءة في رحلة الولاتي**، ضمن أعمال طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2001.
- محمد بركات البيلي، **مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان**، مجلة المؤرخ المصري، العدد 2، القاهرة، 1989.
- محمد بن أبي شنب، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- محمد حمد كنان ميغا، **مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تمبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي**، مجلة قراءات إفريقية، العدد 3، 2007.
- محمد فاضل علي باري، إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971.
- محمود كعت التمبكتي، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق وتر هوداس ودولافوس، مطبعة هوداس، باريس، 1964.
- مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- نعيم قداح، **الثقافة العربية الإسلامية وانتشارها في إفريقيا الغربية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1963.
- نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر.
- نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي مع المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين**، رسالة لنيل الماجيستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005 ــ 2006.

- وفاء يعقوب جبريل برناوي، **دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي: دراسة تاريخية حضارية**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003.
- ولد السالم حماه الله، **قوافل الحج ومسالكها بين غرب الصحراء والسودان مع المغرب والمشرق خلال العهد العثماني**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 116، تونس، 2004.
- يحيى بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**، دار هومة، الجزائر، 2001.

- Adam BA Konare, **Les relations politiques et culturelles entre le Maroc et le Mali à travers les âges**, Edition Institut des Etudes Africaines, Rabat, 1991.

- Carette E., **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale**, Paris, 1840.

- Hun-Wik Hohn **Les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique Sud Saharienne à travers les âges**, Edition Institut des Etudes Africaines, Rabat, 1990.

- Michel Abitbol, **Les armes de Tombouctou**, Edition Maisonneuve, Larose, Paris, 1979.

- Michel Abitbol, **Le Maroc et la commerce transsaharien du XVII^{ème} siècle au début du XIX^{ème} siècle**, in Revue de l'occident Mussulmen et de la Méditerranée, N° 30, 2ème semestre, 1980,

- Raymond André, **Les quartiers de residence des commerçants et artisans Maghrébines au Caire aux 17 et 18 siècle**, R.H.M, N° 31 - 32, Tunis, 1983.

- Tamouh Zahra, **Les relations commerciales entre le Maroc et le Soudan pendant la deuxième moitié du vingtième siècle**, Thèse de 3 ème cycle, Paris IV.